المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 17 / العـدد: 2 جوان 2021 ص: 463-490

جهود علماء التفسير في نشأة علم الدلالة حتى القرن الخامس الهجري

The Efforts of the Tafseer Scholars in the Emergence of Semantics, until the fifth century AH

عامر سداس[1]*: جامعة أحمد بن بلة– وهران 01، amurseddas1991@gmail.com

[2]خالد إسماعيل: جامعة أحمد بن بلة–وهران 01، elkassid62or1@gmail.com

تاريخ الاستلام: 13/ 05/ 2021 تاريخ القبول: 30/ 06/ 2021 تاريخ النشر: 25/ 07/ 2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع من المواضيع المتصلة بفهم القرآن الكريم لفظا وتركيبا، وكذا إبراز جهود علماء الإسلام من المفسرين في نشأة علم الدلالة وخدمة اللفظ القرآني؛ ذلك أن مفتاح التعامل مع آيات القرآن الكريم ابتداء تكون من خلال المفردة داخل وخارج السياق لاستمداد معانيَ إضافية من خلال هذه الخطوة المحكمة، وتسعى هذه الورقة للكشف عن آليات علم الدلالة ومفهومه واستعمالاته في إطار الدراسات القرآنية، وكذا الوقوف على بعض شوارده المبثوثة في كتب التفسير حتى القرن الخامس الهجري.

وبعد استعراض واستقراء الأمثلة وتحكيمها للآليات الدلالية تم التوصل إلى أن في علم الدلالة آليات تعين على الاستنباط من القرآن الكريم؛ منها ما يخدم السياق والتركيب ومنها ما يخدم اللفظة ذاتا، وكذا ارتباط علم الدلالة بعلم التفسير من خلال توظيف آليات علم الدلالة في كتب التفسير.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الاستنباط، علم الدلالة.

* المؤلف المراسل

Abstract:

This study aims to shed the light on one of the topics related to understanding the Holy Qur'an semantically and structurally, as well as to highlight the efforts of Islamic scholars specialized in Semantics to investigate Qur'anic terms. Since the key to to understanding Qur'anic structures is to initially deal with its single terms both within and outside of context. The purpose is to extract additional meanings through this process. This paper seeks to identify the mechanisms of Semantics and its significance within Qur'anic studies.

After reviewing and studying examples and judging them via semantic mechanisms, we concluded that semantics possesses certain mechanisms that help the interpretation of Qur'an; some of these mechanisms serve the context and the structure while others serve the words themselves.

Keywords: interpretation, extrapolation, Semantics.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

تولى علماء اللغة تحقيق اللسان وتأسيس قواعد العربية وآلياتها، فظهرت معاجم الموضوعات ثم المعاجم عموما ثم توسع التأليف والاهتمام بالعربية وعلومها كل ذلك مناطه القرآن الكريم، وهذا الجهد يعتبر تأسيسا لنشأة علم الدلالة. ومن بين أهم المباحث التي بحثها علماء الإسلام وقعَّدوها واستعملوها لخدمة وفهم كتاب الله تعالى قضايا "علم الدلالة" الذي ظهر ابتداء عند علماء الإسلام باعتبار استعمالهم إياه من غير إشارة لمسماه، بعد ذلك تناوله علماء الغرب بالبحث والتوسع ليصل به الحال إلى ما هو عليه الآن. علم الدلالة حوى جملة من الآليات الخادمة لألفاظ وتراكيب القرآن الكريم ولهذا ضمنها علماء التفسير كتبهم بل واعتمدها بعضهم اعتمادا يظهر من حين لآخر في التعامل مع الآيات، كونها تكشف المعني وتجليه، بل وتوضح الفروق بين الألفاظ القريبة من حيثُ المعنى... ومن هنا جاءت هذه الورقة لتسلط الضوء على آليات علم الدلالة ومواطن استخدام المفسرين لها حتى القرن 05هـ من خلال الوقوف على المؤلفات في التفسير التي اعتنت بإدراج هذه الآليات.

إشكالية الدراسة:

من خلال ما سبق يمكن طرح الإشكالية متمثلة في التساؤل الرئيسي والتي تأتي هذه الورقة البحثية مجيبة عليه: هل لعلماء الإسلام من المفسرين جهود في نشأة علم الدلالة؟ وهل آليات علم الدلالة معِينة على الاستنباط من القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة كونها تُعنى بالقرآن الكريم ولغته وبالنظر للاختلاف الشائع في أصل علم الدلالة أعربي هو أم غربي، أصولي هو أم لغوي، وصولا بعد ذلك إلى التطبيقات والممارسات في هذا الحقل العلمي المناسب للدراسات القرآنية. هذه الدراسة تبرز جهود علماء الإسلام في نشأة هذا العلم الذي يُحدث ضجة في أوساط اللغويين المعاصرين –العرب والغرب–، وكذا استثمار هذا العلم.

منهج الدراسة:

للإجابة عن الأسئلة المطروحة تم اعتماد المنهج الاستقرائي في تتبع الأمثلة المناسبة والنظر في تصانيف المفسرين... والمنهج التحليلي للكشف عن كيفية تفعيل الآليات لخدمة ألفاظ القرآن الكريم وتحليلها، ثم المنهج الوصفي بوصف علم الدلالة وآلياته.

المحور الأول: مدخل عام حول علم الدلالة ومباحثه.

يسعى هذا المحور أن يضع القارئ المتخصص فضلا عن المثقف في أوضح صورة عن الموضوع، لذلك جاء هذا المدخل ليرسم الخطوط العريضة عن الدراسة تمهيدا للجانب التطبيقي.

1. مفهوم علم الدلالة لغة واصطلاحا:

علم الدلالة لغة:

قال ابن دُرَيد: "الدِلالة –بكسر الدال– حرفة الدلال، والدَلالة –بفتح الدال– من الدليل، ودليل بين الدِلالة"[1] فرق في ضبط اللفظ من حيثُ النصبُ والخفض ولعله أرجى باعتبار المعنيين. قال ابن فارس: "الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء أمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء؛ فالأول قولهم: دلَلت فلانا على الطريق ... والأصل الثاني قولهم: تدلدل الشيء إذا اضطرب... ومن الباب دلال المرأة وهو جرأتها في تغنج وشِكل كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون إلا بتمايل واضطراب"[2] فيه إشارة إلى أن الفعل الدلالي قد يكون بالقول والفعل ومن الثاني فعل المرأة جاذبة لنظر زوجها، ويستفاد من هذا أيضا دلالة الفعل عن المعنى هو محور النقاش الدلالي، إذ الدلالة تحصل بآليات لغوية وأخرى سياقية تكشف عن خبايا المعاني وأسرارها.

علم الدلالة اصطلاحا:

أشار الشريف الجرجاني إلى مفهوم الدلالة بقوله: "الدَلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"[3] ومن المعاصرين أحمد مختار عمر يقول:

---

[1] ابن دريد، محمد بن الحسن، (1987م). 114/1.

[2] ابن فارس، أحمد أبو الحسين، (1991)، 259/2-260.

[3] الجرجاني، الشريف الحنفي، (1421هـ/2000م). 108.

"أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة semantics ...ويعرفه بعضهم أنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى"[1] ومنه هناك من يسمي هذا العلم بعلم المعنى لأن ماهيته الإيصال إلى المطلوب والغرض من الكلام كما سبق من تعريف الشريف الجرجاني. ونشير أيضا إلى أن هذا المركب الإضافي –علم الدلالة– باعتباره لقبا واسما لهذا العلم ظهر عند الأوروبيين يقول إبراهيم أنيس: "وتلك دراسة حديثة المولد نسبيا بدأها بريل breal في أواخر القرن التاسع عشر في رسالته التي سماها essai de semantique وفيها عنى ببحث الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوربية"[2]

2. مباحث علم الدلالة:

من باب ذكر المفهوم الاصطلاحي ذكر أقسام علم الدلالة؛ ذكر فايز الداية محاور الدرس الدلالي بقوله: "المحور الأول: العلاقة الرمزية ين الدال والمدلول والمنعكسات الاجتماعية والنفسية والفكرية، والمحور الثاني: يدور حول التطور الدلالي أساسه وقوانينه والعلاقات السياقية والموقعية في الحياة والعلم والفن، والمحور الثالث: يتصل بالمجاز وتطبيقاته الدلالية وصلاته الأسلوبية" حفلت الدراسات اللغوية وعلم الأصول وعلم غريب القرآن والنحو والبلاغة وتوجيه القراءات وعلم التفسير والوجوه والنظائر...بمباحث علم الدلالة لأنها لا تخلوا أن تكون مبينة شارحة وموضحة للمعاني "وظاهر في الدراسات الدلالية أنها أغفلت جهود الدلاليين القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم"[3] واهتمامهم ظاهر في جل العلوم التي سبق ذكرها.

ولما كان موضع علم الدلالة دراسة المعنى والاهتمام بقضاياه كان من الطبيعي أن تكون كل آلية محللة وشارحة للمعنى 'لفظا أو تركيبا'، وسنذكر فيما يأتي بعضها والتي سنتطرق إليها بالبحث والدراسة:

- وسائل دراسة المعنى أو نظرياتها:

[1] مختار، أحمد عمر، (1989م)، 11.

[2] أنيس، إبراهيم، (1984م). 07.

[3] الداية، فايز، (1417هـ/1996م). 09.

- النظرية السياقية.
- نظرية الحقول الدلالية.

- معرفة المعاني اللغوية للمفردات العربية –الاشتقاق–
- حدود المعاني من حيث عمومها وخصوصها –العام والخاص–
- تعدد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ:

- الترادف.
- المشترك اللفظي.
- الأضداد.[1]

3. علاقة علم الدلالة بعلم التفسير.

التفسير وما يحتاجه من آليات للتعامل مع ألفاظ القرآن وتراكيبه كان لعلم الدلالة حظ وفير منها، إذ لو تأملنا في مناهج المفسرين القدامى لوجدنا تفاسيرهم عامرة بمباحثه؛ لأنه كما لا يخفى أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فكان ولا بد أن يُرجع إلى اللسان الذي نزل به لتفهم معانيه فلا يتخيل عاقل أنه يقدر على استشراف معاني القرآن الكريم لغير المتمكن المتمرس في كلام العرب وافتنانهم في أساليبهم، "ولما كان تحديد دلالات الألفاظ تحديدا دقيقا يعتبر الخطوة الأولى والأهم في فهم المعاني وتفسيرها"[2] عمدت إلى المفسرين الأوائل حتى القرن الخامس الهجري وتأملت المؤلفات التي اهتم أصحابها بجوانب دلالية ووظفوها في التعامل مع آي القرآن، وتحديدنا إلى القرن الخامس بالضبط له أسبابه؛ إذ أن هذه الفترة حوت تفاسير إذا تتبعنا مضامين ما أودعه أصحابها من مباحث دلالية هامة أضفت للدرس الدلالي الكثير من المادة الجديرة بالنظر والعناية، كما سيبين هذا التتبع أن علماء التفسير لهم إسهامات معتبرة في هذا العلم، لا نستطيع في هذا المقام أن ندرس التفسير بمعزل عن غريب القرآن والوجوه والنظائر ... لأنها

[1] ينظر: جبل، حسن حسن: فقه اللغة العربية أصالته ومسائله، والمعنى اللغوي، وفي علم الدلالة. كلها لذات للدكتور حسن جبل.

[2] الشايع، حمد بن عبد الرحمان، (1441هـ-1993م). 05.

تتبع السياقات المختلفة للفظ الواحد إذ هو من أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم بل وشديد الصلة بعلم الدلالة[1] وسنذكر جملة من التصانيف التي اعتمدناها:

- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي .105هـ.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري 276هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري 310هـ.
- بحر العلوم، لليث السمرقندي 373هـ
- الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري 395هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرأن لأبي اسحاق الثعلبي 427هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن ابي طالب القيسي 437هـ
- الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني،478هـ.

المحور الثاني: جهود علماء التفسير في نشأة علم الدلالة حتى القرن الخامس الهجري.

الوقوف عند جهود المفسرين في نشأة علم الدلالة سيجلي لنا تلك المكنة اللغوية التي بلغها علماء الإسلام في توظيف الآليات اللغوية ودقة الاستنباط، والفوائد الدلالية بالضبط تطلعنا على كنوز مخبئة في بطون كتبهم جديرة بالاهتمام؛ ليتحقق أن الإشارة لهذا العلم كانت لدى علماء الإسلام ابتداء وأما الغرب فكان الإسلام مصدرا ملهما لهم.

علم التفسير كان أرضية مناسبة لتتبع واستقراء هذا الفن لاستنطاق ما ذكره المفسرون من آليات الدلالة ومسائلها ووسائلها.

1. مفهوم التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة: يقول الخليل بن أحمد "الفسر: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسرا، وفسره تفسيرا, والتفسرة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البدن، وكل شيء

[1] ينظر: الطيار، مساعد بن سليمان، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

يعرف به تفسير الشيء فهو التفسرة"[1] ولعل هذا المعنى الأخير يبين أن هذا العلم فيه جزء لا يتأتى إلا للمتخصص المتبحر في الفن كما أفاد الخليل من قوله التفسرة. وكذا قال ابن فارس في مجمل اللغة: "فسر: الفسر البيان, والفسر نظر الطبيب إلى الماء، وهو التفسرة"[2] وقد يستعمل هذا كما هو موضح في الأمرين المجرد والحسي, فالمجرد هو ما أطلق عليه مسمى التفسير لأنه يكشف عما وراء اللفظ ولا يكتفي بمجرد الظاهر منه, والحسي كما مثل به أصحاب المعاجم من عمل الطبيب وهو كشف ما خفي ولعله للحسي أقرب.

التفسير اصطلاحا: بإمكاننا الوقوف على نقاش مختصر في مفهوم التفسير وإطلاقه لاختصار الطريق وعدم التوسع، يقول محمد حسين الذهبي: "يرى بعض العلماء: أن التفسير ليس من العلوم التي يُتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويُكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها. ويرى بعض آخر منهم: أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية، أو الملَكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلَّف له التعريف، فيذكر في ذلك علوماً أخرى يُحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات ... وغير ذلك"[3] وعلى هذا الرأي لا يمكن تحديد مفهوم مضبوط للتفسير وقد يكون هذا راجعا إلى أن القرآن مقصود بذاته فلا يُتكلف لفهمه علم يدرس بمعزل عنه وأيضا لو عرفنا التفسير بما هو معروف من حدوده لصار هذا إجحافا في حقه ذلك أن الحد من شروطه توافر ما يحتاجه المفسر مثلا من علوم لتتكون له الملكة للتعامل مع القرآن الكريم، وعلى كل أقرب المفاهيم للتفسير قول الزركشي: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه, واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات, ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[4]

---

[1] الفراهيدي الخليل بن أحمد، (1424هـ/2002م) 321/3.

[2] ابن فارس، أحمد أبو الحسين، (1406هـ/1986 م). 721.

[3] حسين الذهبي، 12/1.

[4] الزركشي، (1957)، 13/1.

2. وسائل دراسة المعنى أو نظرياتها.

وسائل ونظريات دراسة المعنى لم تكن وليدة اليوم وإنما عرفت من خلال التتبع والاستقراء لكلام العربي وسنذكر أبرز هذه النظريات التي تتيح فهم المعنى والتعمق فيه وفي مقاصده:

النظرية السياقية:

اهتمت النظرية بالمعنى والدلالة والاستنباط، ولا يمكن تفسير المفردة بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه. والسياق آلية مستعملة في التراث العربي وصُرح بمسماها في القرن الثالث والرابع في مؤلفات المفسرين، وأخذ مكانة كبيرة في الدراسات الغربية كما هو مبين في غير ما مصدر.

السياق لغة:

يقول ابن فارس: "سوق؛ السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقا. والسيقة: ما استيق من الدواب... والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[1] ومنه السياق بهذا التصريف، ويرجع لفظ السياق إلى الصيغة الصرفية فَاعَلَ التي يراد منها المتابعة والموالاة فيصير مرادفا للمساوقة التي تعني التلازم بين الشيئين بحيث لا يختلف أحدهما عن الآخر[2] ولعل معنى السياق الاصطلاحي يأخذ كونه من التتابع والموالاة والتواتر وهذا يتحقق بالصيغة الصرفية التي ذكرناها، كما يراد منه من الناحية الاستعمالية للآلية.

السياق اصطلاحا:

هو "ما يتلوا المفردة التي يراد بيان معناها أو يتقدمها من عبارات تقتضي: إما بيان معناها أو بتعيين المعنى المراد من معانيها"[3] كما أنه من اللازم لضبط هذه النظرية أن نحدد المكونات الرئيسة لها، يقول حسن جبل ملخصا لقضايا النظرية السياقية:

---

[1] ابن فارس، أحمد أبو الحسين، (1991)، 17/3.

[2] البركاوي، عبد الفتاح، (1991). 26.

[3] جبل، عبد الكريم حسن، (دت).

- الوحدة اللغوية هي الكلمة لأنها نواة التفاهم والتواصل وهي التي يمكن اجتزاءها من الجملة.
- الكلمة لها معنى معجمي خارج السياق وآخر يتعدد بتعدد السياقات.
- السياق بنوعيه 'اللغوي والمقامي' له دور كبير في تحديد الكلمة أو الجملة.[1]

بالإضافة إلى ذلك أنه من روافد الاستنباط، أي من الآليات التي يستعان بها لفهم المراد من اللفظ كما سبق، وقد يذكر بغير هذا اللفظ مثل: الموقف، الحال، المقام[2] إلا أن الاختيار والاستعمال استقر على لفظ 'السياق'

أمثلة تطبيقية من استعمالات المفسرين للسياق:

لقد أصل الطبري 310هـ لهذه النظرية في العديد من المواضع في تفسيره ومنها قوله: "إلحاق معنى بعض الكلام ببعض أولى مادام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض، فيعدل به عن معنى ما قبله"[3] لا يُتصور أن يَعمِد أحد فيقتطع عبارة من كلام طويل ويعطي لها مفهوما خارج سياقها الأصلي "فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد"[4] فلزم للذي يبتر الكلام عن تأليفه إما الحجة وإما النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ليمكنه تفسيره، ونمثل على ذلك بقوله تعالى: (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) الزخرف: 18 يقول الطبري: "عُني بذلك الجواري والنساء، وقال آخرون: عُني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عُقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه .. فإتباع ذلك من الكلام ما

[1] ينظر: المصدر السابق.

[2] ينظر: البركاوي، عبد الفتاح، (1991). 26.

[3] الطبري، ابن جرير، (1422هـ-2001م). 205/7.

[4] المصدر نفسه.

كان نظيرا له أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر"[1] أراد رحمه الله الآيات الثلاث السابقة لهذه الآية من قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) الزخرف: 15وما بعدها. وقوله 'عقيب' إشارة إلى ضرورة قراءة السابقات لهذه الآية، لأن السياق متصل ببعضه البضع في معرض موحد.

ويقرر في موضع آخر هذه القاعدة مرفقة بمثال في قوله تعالى: (وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) النساء: 127 "وما يتلى عليكم من آيات الفرائض في أول هذه السورة وآخرها، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الصداق ليس مما كتب للنساء إلا بالنكاح... وإذا كان ذلك كذلك كان وصل معاني الكلام بعضه ببعض أولى ما وُجد إليه سبيل"[2] اتساق وانسجام النص لا يتوقف عند أقرب مذكور بل يُلزمك بفهم جميع ما قبله وما بعده من كلام ليتبين لك المعنى، فالطبري رحمه الله اعتبر الآية السالفة الذكر برقم 127 في ذات سياق آيتي الفرائض في أول السورة برقم 11-12 وما بعدها، والآية الأخيرة من السورة برقم 127والتفسير السياقي يظهر بجلاء في أن تكون اللفظة فسرت بتفسير في هذا الموضع وبتفسير آخر في موضع مغاير وهذا ما نلمسه في تفسيره لكلمة البخل من سورة النساء: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) النساء: 37 قال: "إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآية بالبخل بتعريف من جهل أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه حق وأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث وغير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى ذكره قد بينه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه، فبخل بتبيينه للناس هؤلاء وأمروا من كانت حاله حالهم في معرفتهم به أن يكتموه من جهل ذلك ولا يبينوه للناس ...ولذلك قلنا: إن بخلهم الذي وصفهم الله به إنما كان بخلا بالعلم الذي كان الله آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس، وكتموه دون البخل بالأموال"[3] ويفسر البخل في قوله تعالى يقول: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) آل عمران: 180 "ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله من فضله في الدنيا من الأموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيه من الزكاة... لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول

[1] المصدر نفسه، 20/563-565.

[2] المصدر نفسه، 7/540-541.

[3] المصدر نفسه، 7/25.

قوله "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة" قال: البخيل الذي منع حق الله منه، أن يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عز وجل عقيب هذه الآية: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) آل عمران: 181 فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله جل ثناؤه فقير"[1] أهمية السياق ظاهرة جدا في المثال إذ مراعات السياق حددت مفهوم البخل في الموضعين.

أما السياق الخارجي فنضرب مثالا له بقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) التوبة: 65 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما، ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله فأنا رأيته متعلقا بحَقَب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قل أبالله ورسوله كنتم تستهزؤون؟"[2]

وفي مثال آخر أيضا: (يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) الشورى 49-50 يقول الزمخشري: "ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث لأنّ سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلى الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء، وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم، لأن التعريف تنويه وتشهير"[3]

---

[1] المصدر نفسه، 7/269-270-271.

[2] سهل التستري، (د-ت)، 208-209.

[3] الزمخشري، جار الله، (1407هـ). 4/232.

3. نظرية الحقول الدلالية:

الحقل الدلالي أو المعجمي هو "مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يعبر مجموعها عنه كألفاظ الألوان أحمر أزرق ... من حقل اللون، وكألفاظ القرابة: أب أم بنت ..."[1] وسبقت العرب باستعماله وهو ما عرف بمعاجم الموضوعات أو معاجم المعاني، وأقدم ما بين أيدينا منها هو الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام.[2] وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والألفاظ الكتابية للهمذاني...

أمثلة تطبيقية من استعمالات المفسرين للحقل الدلالي:

يقول الطبري مفسرا لمطلع سورة العاديات: "عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحا، والضبح: هو ما قد ذكرنا قبل."[3] وفي السياق ذاته يقول الرازي "واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادي أن المراد هو الخيل، وذلك لأن الضبح لا يكون إلا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الإبل يكون على سبيل الاستعارة، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز، وأيضا فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الإبل، وكذا قوله: فالمغيرات صبحا لأنه بالخيل أسهل منه بغيره"[4] وسياق السورة ككل يدل على أنها الخيل لأن الغارة بالخيل أقرب منها بالإبل وكذا النقع وهو الغبار الصاعد من ساحة الوغى يتبادر إلى الذهن أنها الخيل المدربة وذلك لا يتأتى للنوق والجمال لطول سيقانها وأعناقها... وأما الذين ذهبوا أنها الإبل فيقول القرطبي: "ومن قال هي الإبل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا، فالحاء عنده مبدلة من العين، لأنه يقال: ضبعت الإبل وهو أن تمد أعناقها في السير. وقال المبرد: الضبع مد أضباعها في السير. والضبح أكثر ما يستعمل في الخيل. والضبع في الإبل ... ومن الإبل التنفس. وقال عطاء: ليس شيء من الدواب

---

[1] جبل، عبد الكريم حسن، (دت). 166.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

[3] الطبري، ابن جرير، (1422هـ-2001م). 24/10.

[4] الرازي، فخر الدين، (1401هـ/ 1981م). 258/32.

يضبح إلا الفرس والثعلب والكلب"[1] كل ما سبق من معجم الخيل: صفاتها وألوانها وهيئات مشيتها واختيالها وأصواتها ...تأمل كيف يرجعون القضايا بعضها لبعض لا لشيء إلا لكونها ألفاظ دالة على معجم واحد، ويمكن الرجوع لهذا الباب بالاعتماد على كتب فقه اللغة وغيرها.

وفي قول الله تعالى: (كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ) المرسلات: 33قال ابن عباس:" يريد الإبل السود، يقال له: أورق، وأصفر، قال الكلبي: الصفر السود وهو قول مقاتل، وقتادة قال الفراء: الصفر سود الإبل، ألا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفرا، كما سموا أبيض الظباء أدما لما يعلوها من الكدرة في بياضها"[2]

وقال ابن قتيبة: "والشرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود لما يشوبها من الصفرة"[3] قال تعالى:(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) البقرة: 169 يقول الثعلبي "قال ابن عبّاس: شديد الصفرة ... وقال قتادة وأبو العالية والربيع: صاف. وقال سعيد بن جبير: صفراء اللون والظلف. وقال الحسن: السوداء، والعرب تسمي الأسود أصفرا قال القتيبي: غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء لأنّ هذا غلط في نعوت البقر. وإنّما هو في نعوت الإبل وذلك أنّ السّوداء من الإبل شربت سوادها صفرة، والآخرة إنّه لو أراد السّوداء لما أكده بالفقوع لأنّ الفاقع المبالغ في الصّفرة. كما يقال: أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر"[4]

نال الحقل الدلالي اهتماما واسعا في الدراسات العربية والغربية المعاصرة ومن بين الدلاليين العرب المعاصرين أحمد مختار عمر في مصنفه المشهور بعلم الدلالة، وفي سياق التأريخ لهذه النظرية عند المعاصرين يقول: "ولم تتبلور فكرة الحقول الدلالة إلا في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن على أيدي علماء سويسريين وألمان"[5] ليتوسع بعد ذلك فيها من الباحثين العرب وغيرهم.

---

[1] القرطبي، عبد الله بن محمد، (1413هـ-1993م). 156/20.

[2] الواحدي، أبو الحسن، (دت) 100/23.

[3] الدينوري، ابن قتيبة، (1393هـ/1973م). 173.

[4] الثعلبي، أبو إسحاق، (1422هـ-2002م). 217/1.

[5] مختار، أحمد عمر، (1989م)، 82.

4. معرفة المعاني اللغوية للمفردات العربية –الاشتقاق اللغوي–

الاشتقاق لغة:

قال الخليل بن أحمد: "الشق: مصدر قولك: شققت، والشق الاسم ويجمع على شقوق، والشق غير بائن ولا نافذ، والصدع ربما يكون من وجه. والشقاق: تشقق جلد اليد والرجل من برد ونحوه. وتقول: ما بلغت كذا إلا بشق النفس أي بمشقة. وجانبا كل شيء شقاه. والشقيق من قولك: هذا أخي وشقيقي، وشق نفسي. وأخت الرجل شقيقته"[1] كل ما ورد من الصيغ يفهم منه أخذ شيء من شيء ماديا كان أو مجردا.

الاشتقاق اصطلاحا:

لعل المفهوم الاصطلاحي للاشتقاق يتأتى بمجرد ذكر أنواعه فحسب "الاشتقاق: نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتهما معنىً وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة –أنواعه– :

الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في الحروف والتركيب، نحو: ضرب، من: الضرب.

الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جبذ، من: الجذب.

الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في المخرج، نحو: نعق، من النهق"[2]

أمثلة تطبيقية من استعمالات المفسرين للاشتقاق:

قال القرطبي: "وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو، وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي"[3] يرجح أن المراد بالعاديات أنها الخيل بكون أنها مشتقة من العدو وبناء على قوله أن هذا لا يوجد في الإبل، هكذا يوظف المفسرون الآليات المناسبة في خدمة اللفظ، وفي مثال آخر أكثر وضوحا وهو في اشتقاق لفظ: الاسم "واسم عند البصريين مشتق من السمو وقال الكوفيون: هو مشتق من السمة وهي العلامة لأن

---

[1] الفراهيدي الخليل بن أحمد، (1424هـ/2002م) 7/5.

[2] الجرجاني، الشريف الحنفي، (1421هـ/2000م). 27/1.

[3] القرطبي، عبد الله بن محمد، (1413هـ-1993م). 154/20.

صاحبه يعرف به، وليس يسمو به"[1] الوقوف عند أصالة المعنى في هذا اللفظ يتأتى بالرجوع إلى الاشتقاق وقضايا التصريف أيضا، ولعل إلزام القائلين بأنه مشتق من السمو في حالة التصغير وسيم، ذلك أن الاسم يصغر على المسمى ولا يصغر على لفظ الاسم .إن الوقوف عند معاني الكلمات ومحاولة إرجاعها إلى أصولها مجهود كان للمفسرين فيه باع يذكر فيشكر، إذ كانوا ينوعون الآليات لخدمة المفردة القرآنية. ولا شك أن الاشتقاق أحد هذه الآليات، واختلف المفسرون في تناول هذه الآلية مع مفردات القرآن الكريم؛ منهم من يصرح بكونها اشتقاقا، ومنهم من يورده ضمنيا في كلامه. ومنهم من يستشهد على اللفظة ومنهم من يكتفي بذكر أصولها فحسب، يقول الراغب في قوله تعالى:(فاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) آل عمران: 159 يقول: "والمشاورة: استخراج صائب الرأي عن الغير، واشتقاقه من شور العسل"[2] يقول الخليل بن أحمد في إثبات اشتقاق المشاورة من شور العسل "شور: المشار: المجتنى للعسل ،شرت العسل أشوره شورا ومشارة. وأشرته، أشيره إشارة، واشترته أشتاره اشتيارا"[3] ويقول الإمام الثعلبي مستعينا بهذه الآلية في قول الله تعالى:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) البقرة: 03 قال أبو حاتم الخارزمي: اشتقاقها من الصِلا وهو النار، فأصله من الرفق وحسن المعاناة للشيء؛ وذلك أن الخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها سحنوها بالنار قوموها بين خشبتين فلذلك المصلي ينبغي أن يتأنى في صلاته ويحفظ حدودها ظاهرا وباطنا ولا يعجل فيها"[4]

5. حدود المعاني من حيث عمومها وخصوصها –العام والخاص–

عرف ابن فارس العموم والخصوص بقوله: "العام الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئا... والخاص الذي يتحلل فيقع على شيء دون شيء"[5] وبوب الراغب في مقدمة تفسيره 'فصل في العموم والخصوص من جهة المعنى' وذكر تحت هذا الفصل أنواع العموم: عام مطلق وهو الجنس نحو قولنا حيوان

[1] القيسي، مكي بن أبي طالب، (1429هـ/2008م). 90/1.
[2] الأصفهاني، الراغب، (1424هـ/2003م). 949/1.
[3] الفراهيدي الخليل بن أحمد، (1424هـ/2002م) 280/6.
[4] الثعلبي، أبو إسحاق، (1422هـ-2002م). 148/1.
[5] ابن فارس، أحمد، (1414هـ/1993م). 159.

... وعام من وجه خاص من وجه كالإنسان فانه بالإضافة إلى الحيوان خاص وبالإضافة إلى زيد وعمر عام، ثم ذكر قاعدة عامة يحتاجها كل مفسر 'المفسر إذا فسر العام بالخاص فقصده أن يبين تخصيصه بالذكر ويذكر مثاله، لا أنه يريد أنه هو هو لا غير'[1] وأيضا ما ذكره الزمخشري في الكشاف: "أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحدا، فتقصد العموم، ألا تراك تقول: إلا بنى فلان، وإلا بنات فلان فالمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة"[2]

وظف الراغب هذه الآلية بكثرة مثال ذلك: في قوله تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) النساء: 30قال "إن قيل كيف جمع بين الظلم والعدوان وقدم العدوان مع كونه أخص من الظلم، وحكم العام والخاص إذا اجتمعا أن يقدم العام على الخاص...قيل في ذلك جوابان: الأول أن يكون العدوان إشارة إلى الظلم الذي يتجاوزه الإنسان إلى غيره، وعني بالظلم ظلم النفس...والثاني أنه قدم العدوان الذي هو أخص من الظل تنبيها أن من ارتكب صغيرة ولم يقمع نفسه عنها جرته إلى ما هو أعظم منها "[3]

كما الطبري العموم والخصوص في تفسيره بوضوح وقعد له، يقول في سياق كلامه على بقرة بني إسرائيل "من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أن حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن، إلا أن يخص بعضَ ما عمه ظاهر التنزيل، كتاب من الله أو رسول الله، وأن التنزيل أو الرسول إن خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دل عليه الظاهر فالمخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمت ذلك الجنس خاصة، وسائر حكم الآية على العموم"[4] أراد أن كلام الله تعالى يحمل على ظاهره إلا أن يخص بمخصص من كلام الله تعالى أو من كلام رسوله صلى الله عليه وسلم. أو قرينة داخل النص أو خارجه صارفة عن إرادة العموم أو الخصوص.

---

[1] ينظر: الأصفهاني، الراغب، (1424هـ/2003م).

[2] الزمخشري، جار الله، (1407هـ). 583/1.

[3] الأصفهاني، الراغب، (1424هـ/2003م) 1207/1.

[4] الطبري، ابن جرير، (1422هـ-2001م). 101/2.

وفي مثال آخر: (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) المائدة: 37قال أبو الحسن الماتريدي: "مخرج الخطاب بالقطع عام، ليس فيه بيان من يتولى القطع، فالمراد منه: رجع إلى الولاة؛ فهذا كله يدل على أن ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد، ولا في مخرج خصوص اللفظ دليل خصوصه؛ بل يعرف ذلك كله بدليل: يقوم العموم بدليل العموم، والخصوص بدليل الخصوص؛ فهذا ينقض قول من يقول: إنه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص"[1] قد يقول قائل إن العموم المراد هاهنا من ألفاظ الأصوليين بل ومن استعمالاتهم ! نقول أن العموم والخصوص ابتداء أمر ينقدح في الذهن بمعزل عن اللغة والأصول فلو أردنا أن نصنفه نلحقه باللغة ولا شك، ألم تر أن قولنا: ألفاظ العموم، هو أمر لغوي خالص؟ ثم بعد ذلك ناله الأصوليون ليعرف فيما بعد ذلك عندهم بالأصل الأصيل في الباب.

6. تعدد الألفاظ إزاء المعنى الواحد وتعدد المعاني إزاء اللفظ الواحد:

هذه الظاهرة اللغوية تعتبر من خصائص اللغة العربية دون سائر اللغات ذلك أن التحديد الدقيق للفظ من الألفاظ ليس بمجرد النظر في المعجم فحسب وكذا المعالجة المعجمية يجب أن تكون معالجة دقيقة تُحكم الآليات فقد يكون التفسير المعجمي بالضدّ أو المقارب أو الاشتراك أو المرادف ... وفيما يستقبل تأصيل ونقاش حول هذا.

أ/ الترادف:

الترادف لغة:

"ردف؛ الردف: ما تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، والجميع: الردافى"[2] ولعله المقصود من الآلية اللغوية التي تعني تتابع تعدد المعاني للفظ الواحد.

الترادف اصطلاحا:

[1] الماتريدي، أبو منصور، (1426هـ/2005م). 512/3.

[2] الفراهيدي الخليل بن أحمد، (1424هـ/2002م) 22/8.

قال السيوطي نقلا عن فخر الدين الرازي: "هو الألفاظ المفردةُ الدالة على شيء واحد باعتبارٍ واحد. واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدِّ فليسا مُترادفين وبوَحْدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دَلاَّ على شيءٍ واحد لكنْ باعتبارين: أحدُهما على الذَّات والآخر على الصفة"[1]

اختلف اللغويون في وقوع الترادف من عدمه "فأنكره بعضهم كابن الأعرابي وثعلب وابن فارس وأبي هلال العسكري، ملتمسين الفروق الدقيقة بين الألفاظ حينا ومفرقين بين الأسماء والصفات، ورجوع المترادفات إلى لهجات متعددة حينا آخر، بينما أثبته آخرون كالأصمعي والرماني وابن خالويه وغيرهم"[2]

لا شك أن القرآن الكريم معجز في ألفاظه وتراكيبه بل وفي نظمه، ومن إعجازه في ألفاظه أنك لا تستطيع أن تبدل كلمة مكان أخرى بل ولا أن تقدم كلمة على أخرى يقول ابن عطية "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[3]

وظف المفسرون الترادف في التعامل مع آي القرآن الكريم ولكن المتأمّل في هذا الصنيع لا يقف على معنى الترادف الذي يريده المجيزون وبعد إيراد الأمثلة ننظر مدى صحة هذا التعامل، منه ما ذكره الطبري في تفسيره "ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقارب معنياهما، وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف، لما في معنى الرجاء من الخوف، لأن الرجاء ليس بيقين وإنما هو طمع، وقد يصدق ويكذِب، كما الخوف يصدق أحيانا ويكذِب ... وكوضعهم الظن مكان العلم الذي يدرك من قبل العيان وإنما أدرك استدلالا أو خبرا ... فوضع أحدهما موضع الآخر، لتقارب معنييهما ... فتضع العرب إحداهما مكان الأخرى في الموضع الذي يتقارب معنياهما فيه فكذلك قوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) الدخان: 56 وضعت إلا في موضع بعد لما وُصف من تقارب معنى إلا و بعد في هذا الموضع."[4] والإمام الراغب أيضا كان ينوه على هذه الآلية مثال ذلك قوله: "المسارعة والمبادرة والعجلة تتقارب، لكن السرعة أعمها والمبادرة لا تكاد تستعمل إلا في البدن، والعجلة أكثر ما تستعمل فيما يتحرى عن غير فكر

[1] السيوطي، جلال الدين، (1418هـ/1998م). 316/1.

[2] جبل، عبد الكريم حسن، (دت). 37.

[3] ابن عطية، الأندلسي، (1428هـ-2007م). 45/1.

[4] الطبري، ابن جرير، (1422هـ-2001م). 68/21-69.

وروية، أو في إمضاء العزيمة قبل استكمال الروية، ولهذا يقال: العجلة من الشيطان، وقال تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) طه: 114 فإن قيل لو كانت مذمومة لما قال موسى: (قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) طه: 84 قيل: موسى عليه السلام أورد ذلك على سبيل الاعتذار إبانة أنه قصد فعلا محمودا، فقد يعذر في وقوع ما يكره منه ...ومدح تعالى قوما فقال: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) الواقعة: 10 أي يسابقون بهممهم وأبدانهم."[1] ولكن هل هذا الترادف ترادف حقيقي أو مجرد تقارب فحسب؟ يقول ابن تيمية: "الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن"[2] ويقابله القولُ بوجود فروقٍ بين ألفاظ مشتركة في الدلالة على ذاتٍ واحدة، إذ لا بدَّ من وجود فروقٍ بين الألفاظ، وأنَّ عدم معرفة الفرق لا يعني عدم وجوده، والقول بالفروق اللغوية يعني الاشتراك في معنى عامٍ بين اللفظين، ثمَّ يمتاز أحدهما، أو كلاهما بفرق عن الآخر، ولعل بعض من ذهب إلى الترادف ذهب إلى وجود المعنى العام بين اللفظين فحكم به، وليس يعني بترادفهما الاتفاق التام في المعنى. وهذا الذي أردناه بإيرادنا للأمثلة السابقة.[3]

ب/ المشترك اللفظي:

بوب ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: "باب الأسماء كيف تقع على المسميات: يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس"[4] ويريد أنها الجادة المسلوكة عند العرب المألوفة في كلامهم ولكن: "تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء وعين المال وعين السحاب."[5] وهذا المراد بهذا الباب الذي نحن بصدده وقد عرفه أهل الأصول: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[6]

---

[1] الأصفهاني، الراغب، (1424هـ/2003م) 438.

[2] ابن تيمية، عبد الحليم الحراني، (1490هـ/ 1980م). 17.

[3] الطيار، مساعد بن سليمان، (1428هـ). 118.

[4] ابن فارس، أحمد، (1414هـ/1993م). 59.

[5] ابن فارس، أحمد، (1414هـ/1993م). 59.

[6] السيوطي، جلال الدين، (1418هـ/1998م). 292/1.

ممن صرح بهذا اللفظ وذكره باسمه المعروف 'المشترك' الراغب الأصفهاني في تفسيره، إذ يقول في قول الله تعالى: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) البقرة: 03 يقول "الرزق لفظ مشترك، يقال للعطاء الجاري تارة، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة، فقوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) الواقعة: 82 يعني نصيبكم من النعمة، وقوله: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) الذاريات: 22 تنبيه أن الحظوظ بالمقادير وقوله: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ) المنافقون: 10 وقوله: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) البقرة: 03 محمول على المباح دون المحظور"[1] ويؤيده أن الضابط في اللفظ المشترك أنه صالح بحس الاطلاق في السياق إذ "اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك"[2]

كلمة الإدراك جعل لها الدامغاني أربعة أوجه في كتابه الوجوه والنظائر فقال: "فوجه منها أدركه: ألجمه، فذلك قوله تعالى في سورة يونس: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) يونس: 90 بمعنى ألجمه. والوجه الثاني: أدرك أي لحق، فذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) الشعراء: 61 أي ملحقون. والوجه الثالث: ادارك أي اجتمع، فذلك قوله تعالى في سورة النمل: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) النمل: 66 أي اجتمع... والوجه الرابع: الادراك: الرؤية، قوله تعالى في سورة الانعام: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) الأنعام: 103 يعني لا تراه الابصار وهو يرى الابصار."[3]

ج/ الأضداد:

الأضداد لغة:

"والأضداد جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد والسخاء والبخل والشجاعة والجبن وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد

[1] الأصفهاني، الراغب، (1424هـ/2003م) 157-158.

[2] الزمخشري، جار الله، (1407هـ). 270/1.

[3] الدامغاني، عبد الله الحسين بن محمد، (د-ت) 65.

القوة الضعف وضد الجهل العلم فالاختلاف أعم من التضاد إذ كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين متضادين"[1]

الأضداد اصطلاحا:

يقصد بالأضداد في اصطلاح اللغويين الكلمات الدالة على معنيين متضادين بلفظ واحد، مثل كلمة "الجون" تطلق على الأبيض والأسود كما أن الأضداد من القضايا اللغوية التي كتب فيها علماء العربية وأصلوها تأصيلا متينا وكذا علماء التفسير اعتمدوها آلية لتحليل الألفاظ القرآنية. وهنا نحاول الوقوف عند أمثلة من كتب التفسير:

في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) المزمل: 10 قال الواحدي: "هاجروا فارقوا عشائرهم وأوطانهم ، وأصله من الهجر، الذي هو ضد الوصل، ومنه قيل للكلام القبيح: الهجرة لأنه مما ينبغي أن يهجر، والهاجرة: وقت يهجر فيه العمل البسيط"[2]

قال الله تعالى: (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) الدخان: 46 "هو ماء قد انتهى في البرودة ضد الحميم، يحرق كما يحرق الحميم."[3]

قال الله تعالى: (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) البقرة: 102 قال أبو هلال العسكري الشراء: "من الأضداد، اشتريته إذا أخذته بثمن واشتريته إذا بعته، وكذلك شريته إنما سمي المشتري والبائع باسم واحد"[4]

قال ابن قتيبة في هذه الآية: "أي باعوها. يقال: شريتُ الشيء وأنت تريد اشتريته وبعته. وهو حرف من حروف الأضداد."[5]

قال أبو بكر السجستاني: "بَيْنكُم: وصلكم. والبين من الأضداد، يكون الْوِصَال، وَيكون الْفِرَاق"[6]

---

[1] أبو الطيب، (دت)، 31/1.

[2] الواحدي، أبو الحسن، (دت). 145/4.

[3] القيسي، مكي بن أبي طالب، (1429هـ/2008م). 6277/10.

[4] العسكري، أبو هلال، (2007م). 60/1.

[5] الدينوري، ابن قتيبة، (1393هـ/1973م). 60/1.

[6] السجستاني، أبو بكر، (1382هـ/1963م). 121.

لا يُفهم أن ألفاظ القرآن الكريم متناقضة أو أنها لا تعبر على معنى دقيق، فكل لفظ يؤدي معناه في تركيبه بدقة فائقة وهذا الرافد من الآليات التي كانت تذكرة بكثرة في كتب التفسير ويحاول المفسر أن يوضح الألفاظ التي ظاهرها أنها لا تؤدي المعنى من ذلك ما ذكره الطبري في تفسيره عند قوله تعالى:(الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) البقرة: 46 "إن العرب قد تسمي اليقين ظنا، نظير تسميتهم الظلمة سدفة، والمغيث صارخا والمستغيث صارخا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمى بها الشيءَ وضده، ومما يدل على أنه يسمى به اليقينُ، قول دريد بن الصِمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتُهمُ في الفارسيِ المسرد

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم ... والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى."[1]

والإمام السمرقندي وقف عند بعض الألفاظ المتضادة إلا أنه لم يصرح بلفظ الأضداد مثال ذلك قوله تعالى:(واللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) التكوير: 17 "إذا أدبر وقال الزجاج عسعس إذا أقبل وعسعس إذا أدبر، والمعنيان يرجع إلى شيء واحد وهذا ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره، وقال مجاهد إذا عسعس إذا أظلم."[2]

خاتمة ونتائج الدراسة:

لا يعتبر التأريخ لعلم الدلالة تأريخا من غير الوقوف على مباحثه في صدر زمن التأليف وبدايات تأسيس العلوم، فبعد أن وَضَعَ الغرب لفظ semantics للدلالة على هذا العلم وسعوا في تطويره ومناقشة مباحثه، كان ولا بد من النظر في التراث العربي الإسلامي وما حواه من مباحث هذا العلم، وعلم التفسير من أرجى هذه العلوم التي يظهر فيها علم الدلالة تنظيرا وتطبيقا.

ومن العرض والتحليل توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج:

[1] الطبري، ابن جرير، (1422هـ-2001م). 1/623-624.

[2] السمرقندي، أبو الليث، (1413هـ/1993م). 3/453.

- أصالة البحث في مسائل علم الدلالة التي كانت إشاراتها مبثوثة في كتب السلف سواء عند اللغويين أو المفسرين أو الأصوليين...
- ارتباط علم الدلالة بعلم التفسير وبتعبير أدق بعلم الاستنباط، وهذا يجسد صُلب الدراسات اللغوية القرآنية التي انطلق منها هذا البحث.
- المعنى اللغوي نوعان: معنى أوَّلي، ومعنى نسقي، وهو كذلك –أي المعنى اللغوي– معجمي ووظيفي، والمعجمي يُدْرس قبل التركيب وبعده وكل هذا يخدم المعنى المقامي الذي هو صلب الدرس الدلالي، ولا يكون هذا كلُّه إلا بتوظيف روافده.
- الاستفادة من اللفظ داخل سياقه يكشف عن معنى زائد عن المعنى المعجمي في تفسير القرآن الكريم وهو الوجه الإعجازي للغة القرآن الكريم، كما أن توظيفه تقريبٌ للمعنى المستنبَط، ضف إلى ذلك أن مرحلة دراسة المادة اللغوية داخل سياقها هو مرحلة الحكم على المعنى المراد، بعبارة أخرى؛ أن المعنى المعجمي جزء من تتبع المعنى داخل السياق.
- على الرغم من قلة الإشارات للحقول الدلالية في التفسير إلا أنها رافد يربط ألفاظ القرآن الكريم في حقل واحد وهذا ما يجمع الذهن عند ذكر الفظ، فينصرف مباشرة للحقل الدلالي في القرآن الكريم كحقل الألوان مثلا.
- معرفة أصول الألفاظ يربط اللفظ بما اشتُق منه في ذهن الباحث ويمكنه من الوقوف على أصل المعنى وما وُضع له اللفظ بعد ذلك، كما هو موضح في مادة (شور).
- الترادف من الآليات التي اختُلف في استعمالها أو في تناولها فقد تقف على بعض من يوظفها في تفسير القرآن الكريم إلا أنه يعني؛ تفسير اللفظ بجزء من معناه، أو بلازمه، أو بما هو أعم منه، أو بما يقاربه، ولا يُقصد به تأدية تمام معناه أبدا.
- تتنوع القرائن المحددة للمعنى، وهي إما لفظية أو سياقية أو خارجية، والضابط لمعنى المشترك يتراوح بين كونه لفظيا أو سياقيا، ومن خلال الأمثلة السابقة تبين أن التعامل مع المشترك إنما هو النظر في السياق أولا.

وتبعا لذلك يمكن التوصية بما يلي:

- الالتفات إلى ما أحياه حسن جبل حول قضايا علم الدلالة وأصالته الذي يعدُّ مجالا لم يستوف حقه من البحث والتدقيق.
- استخلاص قضايا الدلالة من تصانيف السلف ففيها أرضية للتحقيق والدراسة.
- التفريق بين التفسير والاستنباط الدقيق، وإعطاء هذا الأخير مزيدا من الاهتمام بحثا وإثراءً.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1- ابن تيمية، عبد الحليم الحراني، (1490هـ/ 1980م). مقدمة في أصول التفسير، بيروت:دار مكتبة الحياة.

2- ابن دريد، محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (1987م). جمهرة اللغة (ط01)، بيروت، دار العلم للملايين.

3- ابن عطية، الأندلسي تحقيق: الرحالة الفاروق، (1428هـ-2007م). المحرر الوجيز(ط02)، قطر: مطبوعات وزارة الأوقاف.

4- ابن فارس، أحمد أبو الحسين، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (1406هـ/1986 م). مجمل اللغة، (ط2)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

5- ابن فارس، أحمد أبو الحسين، تحقيق: عد السلام هارون، (1411هـ/1991م). معجم مقاييس اللغة (ط01)، بيروت: دار الجيل.

6- ابن فارس، أحمد، تحقيق: عمر فاروق الطاع،(1414هـ/1993م). الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها (ط01)، بيروت: مكتبة المعارف.

7- الأصفهاني، الراغب، تحقيق: عادل بن علي الشذي، (1424هـ/2003م). تفسير الراغب الأصفهاني (ط01)، الرياض: مدار الوطن.

8- أنيس، إبراهيم، (1984م). دلالة الألفاظ (ط05)، مصر: الأنجلو.

9- البركاوي، عبد الفتاح، (دت). دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث.

10- الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، (1422هـ-2002م). الكشف والبيان (ط01)، بيروت: دار إحياء التراث.

11- جبل، حسن حسن، (2016م). فقه اللغة العربية أصالته ومسائله، مصر: مكتبة الآداب.

12- جبل، حسن حسن، (دت). المعنى اللغوي، القاهرة: مكتبة الآداب.

13- جبل، عبد الكريم حسن، (دت). في علم الدلالة، مصر: دار المعرفة الجامعية.

14- الجرجاني، الشريف الحنفي، (1421هـ/2000م). التعريفات (ط01)، بيروت: دار الكتب العلمية .

15- الجصاص، أبو بكر الرازي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (1416هـ/1992م). أحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث.

16- الدامغاني، عبد الله الحسين بن محمد، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، (دت). الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية.

17- الداية، فايز، (1417هـ/1996م). علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق (ط02)، بيروت: دار الفكر المعاصر.

18- الدينوري، ابن قتيبة، (1393هـ/1973م). تأويل مشكل القرآن، القاهرة: دار التراث.

19- الدينوري، ابن قتيبة، (دت). غريب القرآن، تح: أحمد سقر.

20- الرازي، فخر الدين، (1401هـ/ 1981م). مفاتيح الغيب (ط01)، فخر الدين الرازي. بيروت: دار الفكر.

21- الزمخشري، جار الله، (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط2)، بيروت: دار الكتاب العربي.

22- السجستاني، أبو بكر، (1382هـ/1963م). غريب القرآن، القاهرة: مطبعة محمد صبيح وأولاده، القاهرة.

23- السمرقندي، أبو الليث، تحقيق: علي محمد معوض، (1413هـ/1993م). بحر العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية.

24- السيوطي، جلال الدين، (1418هـ/1998م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ط01)، بيروت: دار الكتب العلمية.

25- الشايع، حمد بن عبد الرحمان، (1441هـ-1993م). الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم (ط01)، الرياض: مكتبة العبيكان.

26- الطبري، ابن جرير، تحقيق: عبد المحسن التركي، (1422هـ-2001م).جامع البيان في تأويل آي القرآن (ط01)، القاهرة: دار هجر.

27- الطيار، مساعد بن سليمان، (1428هـ). شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، (ط2)، السعودية: دار ابن الجوزي.

28- الطيار، مساعد بن سليمان، (1423هـ). أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، السعودية: دار ابن الجوزي.

29- العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد عثمان (2007م). الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري (ط01)، مكتبة الثقافة الدينية.

30- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (1424هـ/2002م). العين (01)، بيروت: دار الكتب العلمية.

31- القرطبي، عبد الله بن محمد، (1413هـ-1993م). الجامع لأحكام القرآن،بيروت: دار الكتب العلمية.

32- القيسي، مكي بن أبي طالب، (1429هـ/2008م). الهداية إلى بلوغ النهاية (ط01)، الشارقة: جامعة الشارقة.

33- الماتريدي، أبو منصور، تحقيق: مجدي باسلوم، (1426هـ/2005م). تأويلات أهل السنة، بيروت: دار الكتب العلمية.

34- مختار، أحمد عمر، (1989م). علم الدلالة (ط05)، القاهرة: عالم الكتب القاهرة.

35- النحاس، أبو جعفر، تحقيق: على الصابوني (1409هـ/ 1988م). معاني القرآن (ط01)، مكة المكرمة: مركز إحياء التراث.

36- الهراسي، الكايا، (1403هـ/1983م). أحكام القرآن (ط01)، بيروت: المكتبة العلمية.

37- الواحدي، أبو الحسن، تحقيق: عبد الفوزان، (دت). التفسير البسيط.